Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في نهاية الرواية، وقد أتم الشيخ نافع حكي حكايته ومات، يعلمنا الراوي أن فكرة كتابة الحكاية قد جاءته عندما انتهى من قراءة رسالة وداد للشيخ. ثم يعلمنا أنه فكر بطريقة الكتابة، وهو الذي لم يسبق له أن كتب قصة أو موضوع إنشاء يربو على صفحة، ويقول: "كرهت نفسي لأني لا أجيد الكتابة. قررت حالما أعود إلى حلب أن أتصل بأحد الكتاب وأرجو أن يكتبها..." (ص22). ونقرأ بعد قليل: "كان علي أن أعيش لكي أتمم مهمتي في كتابة الحكاية ونشرها بين الناس. هذه الحكاية التي جعلتني شغوفاً بها وبأبطالها التي جعلتني مصاباً بحالة شغف غريبة كدت أموت بسببها"(ص22).

بين تلك البداية وهذه النهاية يترجّع عنوان الرواية، كما تترجّع حكاية الحكاية. وينبغي أن نضيف أن ماستهل الكاتب الرواية به يمضي بالزمن من حيث توقفت الخاتمة إلى الأمام قليلاً. وستكون هذه هي لعبة الزمن الوحيدة تقريباً. إذ سيغدو الزمن خطياً في الغالب. وعبر تلك اللعبة يخبرنا الراوي بما طرأ على حياته بعد عودته إلى حلب بسبب الحكاية التي أودت بالشيخ نافع. كما يخبرنا بما جعل خطواته تتتالى: من مكنة المهندس في كتابة التقارير المالية إلى الحكواتي إلى كتابة الحكاية، جراء اعتقاده أن حكاية الشيخ نافع ينبغي أن تتخلد في كتاب: "ولهذا الأمر وجدتني أمام مهمة عظيمة وصعبة في آن معاً كيف ستكتب هذه الحكاية أو الحكايات ومن سيكتبها إن كنت أنا لا أستطيع" (ص18).

هكذا قصد شاعراً معروفاً يجيد الكتابة، كي يسرد عليه الحكاية، فيكتبها، لكن الشاعر اعتذر بسبب مافي الحكاية مما يخدش الحياء. ولأن الراوي خاف من أن تموت الحكاية معه قرر أن يكتبها بنفسه، مكرراً الاعتذار من القارئ عما في كتابته من نقص، ومخفياً السخرية ممن يفترض أنهم يفقهون، تحت قناع واهٍ من الجدية.

حكاية المتن:

يحسن التوضيح منذ الآن أننا سنكون أمام حكايات تجمعها كلمة (الحكاية). والراوي نفسه يردد مراراً (الحكاية- الحكايات). ففي حكاية الشيخ نافع، وفي حكاية الراوي نفسه، حكايات تتفرع منها وتتضاف إليها. وقد جاء كل ذلك في خمسة فصول وخاتمة. أما الفصول الثلاثة الأولى فقد عنونها الاستفهام على التوالي: (كيف ظهرت وداد البريئة في صورة مع المفوض السامي) ثم (كيف استقبلت الخوجة بهيرة وداد وكيف قبلتها أول قبلة) ثم (كيف خطط اسماعيل